أساسيات المناهج المعرفية لنظريات تفسير التاريخ

أ.م.د.محمد حسين الصافي*

ملخص:

تطرق البحث إلى اختلاف المناهج المعرفية لفلاسفة التاريخ في فهم التاريخ وتفسيره، فمنهم من كان منهجه المنهج الحسي، وهو الذي يستند إلى المعرفة الحسية عبر الحواس للاستقراء ويشكك بأي معرفة خارج إطار الحواس، ومنهم من اعتمد على المنهج العقلي في فهم التاريخ وتفسيره لاستنباط فلسفته، ومنهم من نحى نحو المنهج الروحي والوجداني للفهم والاحساس بالتاريخ، ثم المنهج الكلي الإسلامي، الذي يضم المناهج الثلاثة في فهم التاريخ وتفسيره بل وتفسير الوجود والكون. وتعدد مناهج المعرفة هذه أثمر تعدد رؤى وفهم وتفسير التاريخ وقراءته.

Abstract:

The research touched on the different cognitive approaches of the philosophers of history in understanding and interpreting history, Some of them used the sensory approach, which is based on sensory knowledge through the senses for induction and questioning any knowledge outside the senses. Some of them relied on the rational method in understanding and interpreting history to derive their philosophy, Some of them moved towards the spiritual and emotional approach to understanding and feeling history, then the Islamic holistic

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى المشارك، قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة صنعاء.

approach, which includes the three approaches to understanding and interpreting history and even the interpretation of existence and the universe. The multiplicity of these approaches to knowledge has resulted in a multiplicity of visions, understanding and interpretation of history and its reading.

مقدمـة

تستند نظريات وفلسفات تفسير التاريخ إلى مناهج معرفية تختلف فيما بينها لتحدد وتحكم طبيعة الرؤية الفلسفية والتفسيرية للتاريخ ومساره. وهذه قضية معرفية لا تخص فقط فلسفة التاريخ، بل الفلسفة بشكل عام والفكر الإنساني برمته. والخلاف في أدوات ومناهج المعرفة وإشكالاتها يترتب عليه اختلاف في الأطروحات الفكرية نفسها وتنوعها وكيفية النظر إليها، بل وحتى في نوع القضايا والمشاكل التي تحاول معالجتها. كما يترتب على ذلك مخرجات الحضارة وفلسفتها. وتفسير الإنسان للتاريخ لا يحدد فقط كيفية رؤيته للماضي، بل أيضا مستوى وعيه ورؤيته لهويته وفكره وحاضره ومستقبله. ولتوضيح هذا الموضوع تضمن البحث أربعة محاور أساسية: المحور الأول: المنهج الحسي، والمحور الثاني: المنهج العقلي، والمحور الثالث: المنهج الروحي، ثم المحور الرابع: المنهج الكلي الإسلامي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى معرفة أساسيات الأدوات المعرفية المختلفة وفهمها التي هي مناهج المعرفة والفروق بينها وما يترتب على ذلك من اختلاف الفكر والرؤية ومناهج تفسير التاريخ وفلسفته، بما في ذلك المنهج الإسلامي للمعرفة من خلال أصوله الكتاب والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وقراءته للتاريخ، ومن خلال المقارنة مع مناهج المعرفة الإنسانية الأخرى.

مشكلة البحث:

يحاول البحث الكشف عن الأساسيات المنهجية لنظريات تفسير التاريخ، والفروق بينهما كأداة للمعرفة التاريخية وتفسيرها وإنتاجها. ومن ثَمّ يكون سؤال البحث ومشكلته هو: ما أدوات المعرفة المنهجية وأسسها التي بموجبها قدم

المؤرخون والفلاسفة تفسيرهم ونظرياتهم للتاريخ؟ وما الفروق بينها؟ وما نتائج اختلاف هذه الأدوات والمناهج في المعرفة نفسها وعلاقة كل ذلك بمناهج تفسير التاريخ؟

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي المقارن.

تمهيد:

كيف نعرف؟ وما المعرفة؟ وكيف نعرف التاريخ ونفهمه؟ وما أدواتنا المعرفية لمعرفة التاريخ؟ وكيف نعلم أن أدواتنا المعرفية صحيحة وقادت بالتالي إلى نتائج صحيحة؟ كل هذه الأسئلة تقف في وجه الباحث في كل تخصص وخاصة الباحث التاريخي. إنها أسئلة فلسفية عميقة تسببت في جدل كبير بين العلماء والفلاسفة أثمر تنوع مناهج المعرفة وبالتالي تعدد الرؤى في فهم التاريخ وتفسيره. فكان المنهج الحسي والمنهج العقلي والمنهج الروحي والمنهج الكلي الإسلامي من وجهة نظر المسلمين الذي يجمع بين المناهج الثلاثة.

المنهج الحسي:

يعد أحد أهم أسس المعرفة، وهو المعرفة بواسطة الحواس المادية، مثل السمع والبصر، ويعد فرانسيس بيكون Bacon [(١)](ت ١٦٢٦م) رائد هذا المنهج في أوروبا في التاريخ المعاصر، وهو المنهج الذي يعتمد على الملاحظة والمشاهدة والتجربة، أو ما يسمى بالمنهج التجريبي وأحياناً الاستقرائي، مع بعض الاختلاف بين المنهج الحسي والمنهج التجريبي. وأصحاب المنهج التجريبي يرفضون القول بالأفكار الفطرية (الحدسية) وينكرون قدرة العقل على اكتشاف حقائق الواقع بشكل مستقل عن الخبرة الحسية[(٢)]. أو حتى اعتباره

(١) فرانسيس بيكون: فيلسوف وسياسي انجليزي ولد في مدينة لندن عام ١٥٦١، التحق بجامعة كامبريدج ومن ثم رحل إلى فرنسا واشتغل مدة في السفارة الإنجليزية بباريس ثم ما لبث أن عاد إلى وطنه وشغل مستشارا للملكة إليزابيث، يعده الأوروبيون مؤسس المنهج الاستقرائي التجريبي.(بدوي، عبدالرحمن: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤،ج١ص٣٩٢ وما بعدها).

(٢)محمد، بدوي عبد الفتاح: فلسفة العلوم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠/٢٠٠١،ص٦٢. يختلف هؤلاء عن رؤية علماء النفس المعاصرين في نظرتهم إلى مستويات التفكير إذ أنهم يرونها=

أداة للمعرفة[١]. وباسم هذا المنهج حاول البعض نقض الكنيسة والدين وكل علوم الغيب[٢]؛ إذ أصبحت المادة هي الحقيقة الأساسية خاصة منذ القرن السابع عشر الميلادي. ويدعي أنصار هذا المنهج أنه يمتاز عن سائر أنواع المعارف الأخرى بميزات عدة منها أنه يولِّد اليقين التام ومقدرته على كشف أسرار الطبيعة[٣]. وعلى ذلك خطى الفلاسفة الملحدون، فقالوا: إن الإدراك الحسي مباشر وجوهري؛ لأن الموجود المدرك بالحس هو وحده الذي لا نزاع فيه[٤]؛ فاتخذت الحسية نزعة إلحادية واضحة[٥].

على أن هناك فلاسفة غربيين كبار عارضوا هذه النظرة، أمثال رينيه ديكارت[٦] René Descartes (ت:١٦٥٠) الذي حذر من المعرفة المحددة فقط بواسطة الحواس[٧]. وإمانويل كانط (ت:١٨٠٤) Immanuel Kant (ت:١٨٠٤م)[٨]؛ إذ رفض ما ذهبت إليه المدرسة الإنجليزية التي زعمت أن المعرفة مستمدة من الحواس[١].

=تنقسم إلى ثلاث مستويات : المستوى الحسي ، ثم المستوى التصوري ، ثم مستوى التفكير المجرد. وهذا على اختلاف أيضا فيما بين علماء النفس أنفسهم.(راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، (د.ت)، ص٢٨٢،٢٨١). سبق للفيلسوف الانجليزي هوبز Hoppes(ت١٦٧٩م) إلى القول أن مصدر كل معرفة هو الإحساس.(بدوي: الموسوعة الفلسفية، ، ٥٨٥/٢)

(١)الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ،مكتبة المؤيد، الرياض ١٩٩٢ ، ص٤.

(٢) للمزيد عن هذا المنهج ونقده ينظر : شبير، محمد محمد طاهر آل: نقد المنهج التجريبي ، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٧م . يعترف روجيه بيكون وهو المدخل الفعلي للعلم التجريبي إلى أوربا ، أنه تعلم كل شئ عن هذا الموضوع من مدرسة قرطبة الإسلامية ومن ابن الهيثم خاصة (غارودي، روجيه : نحو حرب دينية ، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية، بيروت ١٩٩٧، ص٤٨؛ ينظر ايضا: هونكه، زيغريد: شمس العرب تستطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت ، (د.ت)، ص ٣٣٤.).

(٣)بدوي، عبد الرحمن : فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت ١٩٧٩م، ص يج. ؛ محمد: فلسفة العلوم، ٢٥٩.

(٤) بدوي : فلسفة العصور الوسطى ،٢١٢،٢١٣/٢.

(٥) بدوي: موسوعة الفلسفة،٤٠٧/٢ ؛ينظر أيضا: غارودي، روجيه: النظرية المادية في المعرفة، تعريب إبراهيم قريط، دار دمشق للطباعة، دمشق (د.ت)، ص٥ وما بعدها.

(٦) رينيه ديكارت : فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ أبو الفلسفة الحديثة ويعد الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن١٧م، و صاحب المقولة الشهيرة: أنا أفكر، إذن أنا موجود (بدوي: الموسوعة الفلسفية، ،٤٨٨/١).

(٧) بدوي : الموسوعة الفلسفية ،٤٩٤/١.

(٨) إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤): فيلسوف ألماني درس اللاهوت ثم الرياضيات والفلسفة والطبيعة، عمل معلما ثم أستاذا في الجامعة ، من أهم مؤلفاته نقد العقل المحض، نقد العقل العملي،=

وكان فلاسفة اليونان القدامى اختلفوا كذلك حول قضية المعرفة الحسية ومدى صدقها فأصبحت إحدى القضايا التي بينت تناقض المذاهب الفلسفية بعضها وبعض[٢]. فكان بعضهم أمثال بروتاجوراس السوفسطائي.(ت: حوالي٤١٠ق م)[٣] لا يرون المعرفة إلا عبر الحواس، ثم أيدهم بعد ذلك ابيقور[٤](ت:٢٧٠ق م) والأبيقوريون[٥].

وانتقد هذه الفلسفة سقراط ثم أرسطو اللذان رأيا أن الاستقراء منهج غير يقيني، واستمر هذا الرأي طيلة العصور الوسطى على أساس أن مشكلة الاستقراء في ضمان صحة التعميم[٦]. كذلك انتقد أفلوطين وقبله أفلاطون قدرة الحواس على المعرفة اليقينية[٧].

الجدير بالذكر أن هذه النظرة للمعرفة انتقدها العديد من مفكري الإسلام مثل الإمام الماتريدي [٨](ت:٣٣٣هـ)، الذي رأى أن الاقتصار على المعرفة الحسية

=ميتافيزيقا الأخلاق وغيرها. اعتبره البعض أعظم فلاسفة العصر الحديث.(بدوي الموسوعة الفلسفية،٢٦٩/٢ وما بعدها).

(١)الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت٢٠٠٠، ص٦١٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال :عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية ،١٩/٢ وما بعدها.

(٣) بروتاجوراس الابديري السوفسطائي: رأس الفكر السوفسطائي في القرن الخامس ق.م. كانت فلسفته هي أساس الفكر السوفسطائي في فلسفة الشك .(الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠،ص٤٢٣).

(٤) ابيقور: فيلسوف يوناني، ولد حوالي سنة ٣٤١ ق م وتوفّي حوالي ٢٧٠ ق م أسّس المدرسة الأبيقوريّة. هاجر إلى أثينا حوالي سنة ٣١١ ق م واستقرّ فيها ودرّس الفلسفة. لم يبق من الكتب التي ألّفها سوى شذرات من الحكم وثلاث رسائل. أهمّ ما وصلنا من فلسفته يدور حول المسألة الخلقيّة. وأطروحته الأساسيّة تتمثّل في أنّ اللذّة هيّ الخير الأسمى وهي غاية الحياة السّعيدة. ولكن بالاعتدال. إذ خلافا لما يعتقد البعض، ليست الأبيقورية دعوة إلى التمتع باللذة في كل الحالات ودون أي شروط، ذلك أن اللذة التي تحصل بإشباع الرغبات هي لذة يخالطها الكثير من الألم والإفراط في طلبها لا يمكن أن يؤدي إلاّ إلى التعاسة والهلاك. وفي الحقيقة يقدم أبيقور معنى جديدا للذة إذ اللذة عنده لا تكمن في إشباع الرغبة وإنما في غياب الرغبة وهي عندئذ غياب للألم الذي يصحبها.(الحفني: المعجم الشامل ،١٩).

(٥)النشار، مصطفى: رؤية الإنسان في الفكر اليوناني ، مجلة التسامح ،العدد٢٦ ، مسقط ٢٠٠٩م، ص١٥

(٦) بدوي : موسوعة الفلسفة ، ١٤٥/١.

(٧) الفلاحي، عبدالله: نقد العقل بين الغزالي وكانط، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت٢٠٠٣، ص١٠٢.

(٨) محمد بن محمد ابو منصور الماتريدي: نسبة إلى ماتريد من سمرقند من أئمة علماء الكلام وتنسب إليه الفرقة الماتريدية في الأصول، له العديد من المؤلفات منها كتاب التوحيد وكتاب تأويلات أهل السنة . توفي في سمرقند.(أبو الفداء، قاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩ه):تاج التراجم في طبقات=

يوقع الإنسان في الخطأ؛ لأن معارفه ذاتها غير محسوسة، ثم أن فيه عقلا وروحا وغير ذلك[١]. والبيروني[٢](ت: ٤٤٠هـ) الذي رأى أن المعرفة الحسية تغلب على عوام الناس دون عقلائهم وعلمائهم. فعامة الناس تميل إلى المحسوس من الأشياء وتعجز عن الإدراك الذي يفوق ذلك[٣]. كذلك الإمام الغزالي[٤] (ت:٥٠٥هـ) الذي يقول[٥]: "فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس، فقد نسى الله؛ إذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس". وهو أشهر من انتقد الاعتماد على الحواس والعقل في الوصول إلى المعرفة الحقيقية.

أما جلال الدين الرومي[٦] (ت:٦٧٢ه)، فيقول[٧]:"إن الظواهر أضلت إبليس فلم ير من جوهر آدم إلا الماء والطين، وأضلت الظواهر أبا جهل حتى نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه محمد بن عبد الله القرشي. فلم يره سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم". ولهذا قال الرومي في شعره[٨]: " ولقد

=الحنفية، تحقيق/ محمد خير رمضان، دار القلم ط١، دمشق ١٩٩٢م، ج١ص٣٤١؛ الزركلي، خير الدين : الأعلام، دار العلم للملايين ط٥، بيروت ١٩٨٠ ، ج٧ص١٩).

(١)المغربي، علي عبد الفتاح: إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، دار الخيال للطباعة، القاهرة٢٠٠٩ ،ص٧٧.

(٢) البيروني ،محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف ورياضي ومؤرخ، من أهل خوارزم.
أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، له الكثير من المصنفات.(الزركلي: الأعلام،٥/٣١٤).

(٣) البيروني، محمد بن احمد (ت٤٤٠ه): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ٢٠ وما بعدها.

(٤) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: الإمام الفقيه المتكلم الصوفي، له الكثير من المؤلفات، مولده ووفاته في الطابران بخراسان رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز وبلاد الشام ومصر، وعاد إلى بلدته.من أشهر مؤلفاته: إحياء علوم الدين.(الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد قايماز (ت٧٤٨ه): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٩ص٣٢٢؛ أبو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق٢٠٠٢،ج١ص٢٥٧ وما بعدها).

(٥) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، (د.ن) بيروت (د.ت) ،ج٤ص٢٤.

(٦) محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي؛ المعروف بمولانا جلال الدين الرومي،العالم والفقيه المربي، عرف بالرومي لأنه قضى معظم حياته لدى سلاجقة الروم في تركيا الحالية، انتقل مع أبيه واستقر في قونية في عام ٦٣٢ هـ / ١٢٢٦م حيث رعاه الأمير السلجوقي علاء الدين قيقباذ، واختير للتدريس في أربع مدارس بقونية. يعد من ابرز مفكري الإسلام. أبرز مؤلفاته المثنوي.(الندوي : رجال الفكر والدعوة ، ٣٩١ وما بعدها).

(٧) الملطاوي، حسن كامل: الصوفية في إلهامهم ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢ ، ج٢ ص٣٣١.

(٨) المثنوي، ترجمة ودراسة: محمد عبد السلام كفافي ، المكتبة العصرية، صيدا ١٩٦٦ ، ج١، ص١٦٩.

صارت علوم أهل الحس خطاماً في فم البشر، فلم تدعهم يشربون لبان ذلك العلم الروحاني الرفيع، ولكن الله ألقى في سويداء القلب جوهرة، لم يودع مثلها في البحار ولا في الأفلاك ".

و يعد اليهود من رواد المعرفة الحسية في التاريخ؛ إذ طلبوا رؤية الله جهرة حتى يؤمنوا به فأخذتهم الصاعقة. "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ". البقرة ٥٥. وهو كذلك ما يغلب على عباد الأوثان.

ومن ناحية الدراسات التاريخية يعد المنهج الحسي أو منهج الملاحظة والمشاهدة أساس عدد من مناهج ونظريات تفسير التاريخ فعلى سبيل المثال منهج رانكة Leopold Ranke [(١)] (ت: ١٨٨٦) الذي يشدد أن الدراسة التاريخية يجب أن تكون وصف ما كان كما كان دون زيادة أو نقصان، وبالاستناد إلى الوثائق التاريخية. وهو بهذا مجرد منهج جمع المتفرقات. ومنهج هنري بكل[(٢)] Buckle (ت:١٨٦٢م) وهو منهج يدعو إلى الاستناد إلى البيانات الإحصائية لمحاولة الكشف عن قوانين حركة التاريخ. ومنهج لامبرخت Lamprecht[(٣)](ت:١٩١٥م) الذي يعد المنهج الاستقرائي وعلم النفس هما المنهج الأساس لدراسة التاريخ[(٤)]. وكذلك يعد المنهج الحسي من الأسس المعرفية للتفسير المادي للتاريخ عند الماركسيين.

(١) رانكه: أشهر المؤرخين الألمان في القرن التاسع عشر. ويعده البعض مؤسس المنهج العلمي للتاريخ . ألف عدة كتب منها تاريخ الأمم اللاتينية والتوتونية. وفي هذه المؤلفات استخدم مصادر كانت تعد جديدة آنذاك مثل: المذكرات والمفكرات والرسائل والاستعانة بشهود عيان.(Krieger L., Ranke : The Meaning of History, Chicago 1977).

(٢) هنري توماس بكل (1821-1862): مؤرخ انجليزي ،اشتهر بكتابه: تاريخ الحضارة في انجلترا . انتهج أسلوبا جديدا في عصره في كتابة التاريخ فوجه اهتمامه إلى دراسة الحضارة وعلاقات الناس العاديين بعضهم ببعض وأحوالهم الاقتصادية , بدلا من الاهتمام بالسياسة ترك مؤلفه أثرا بين المؤرخين لطريقة المؤرخ العلمية , حيث حاول أن يكشف عن قوانين التاريخ..(الموسوعة العربية الميسرة ،٣٩٠؛ (Wikipedia,Henry Thomas Buckle).

(٣) لامبرخت: أستاذ جامعي ألماني له العديد من الدراسات مثل: تقدم معايير التطور التاريخي والغاية القديمة والحديثة للمعرفة التاريخية.ومنهج تاريخ الحضارة (كاسيرر، آرنست: في المعرفة التاريخية، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة ١٩٩٧، ص١٢٧ حاشية ٢، ٣، ٤، ٥، ٦؛ Britannica,Lamprecht .).

(٤) كاسيرر، في المعرفة التاريخية، ٧٤،.

إلا أنه بظهور نظرية النسبية لاينشتاين Einstein [١](ت:١٩٥٥م) ونظرية ميكانيكا الكم سقطت هيبة الفلسفة المادية الحسية وضربت في الصميم؛ إذ أثبتت النسبية أن المادة ما هي إلا حالة من حالات الطاقة، ولخص ذلك المعادلة المشهورة التي تعتبر محور فكرة القنبلة النووية وهي: الطاقة = الكتلة × مربع السرعة. وهكذا أصبح ممكنا أن يتحول الفيزيائي (المادي) إلى ما هو غير فيزيائي. وكذلك العكس صحيح يمكن لما هو غير فيزيائي أن يؤثر في الفيزيائي مثل المجال الكهرومغناطيسي والجاذبية وهي موضوعات أو قوى لا مادية، لكنها تؤثر بشكل فعال في كثير من الظواهر على الأرض والإنسان[٢].

يقول أحد الفلاسفة الانجليز [٣]:" في الماضي ساد الاعتقاد بأن الطبيعة هي التي تؤثر في العقل، والآن قد آن الأوان ليستعيد العقل مكانته الحقيقية ويؤثر في الطبيعة. فأنت لكي تصل إلى الحقيقة الموضوعية لا يمكنك أن تفصل بين العارف والمعروف أو بين الإنسان (الملاحظ) والموضوع الذي يلاحظه". وساد هذا الفكر حتى قالت دائرة المعارف البريطانية:" لقد بدأ العلم المعاصر ينزع بعيدا عن المادية والآلية"[٤].

المنهج العقلي :

وهو منهج المعرفة بواسطة التفكر والعقل، ويعد كارل بوبر Poper [٥] (ت:١٩٩٤م) من أبرز الداعين إلى هذا المنهج الذي يطلق عليه أحياناً المنهج الاستنباطي أو العقلي، وقد ظل كارل بوبر يسخر من المنهج الاستقرائي (الحسي) حتى وفاته، على اعتبار أنه منهج مضلل قاصر عن الوصول إلى

(١) ألبرت أينشتاين: عالم في الفيزياء النظرية. ولد في ألمانيا، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر أينشتاين بأنه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتان حققتا له شهرة إعلامية ، حاز في العام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزياء. بعد تأسيس دولة إسرائيل عرض على أينشتاين تولي منصب رئيس الدولة في إسرائيل لكنه رفض مفضلا عدم الانخراط في السياسة .(بدوي: ملحق الموسوعة الفلسفية،٤٢).

(٢) محمد: فلسفة العلوم،٢٥٣ ؛بول ديفيز و جون جريبين: أسطورة المادة،صورة المادة في الفيزياء الحديثة، ترجمة:علي يوسف علي،القاهرة١٩٩٨،ص١٨ وما بعدها.

(٣) محمد : فلسفة العلوم، ٢٦٦. قائل العبارة الفيلسوف هربرت كار H.W.Carr

(٤) محمد : فلسفة العلوم، ٢٦٦.

(٥) كارل بوبر: أشهر فلاسفة العلم والمنهج العلمي، هاجر من موطنه النمسا عام ١٩٢٩، إلى نيوزلندا حيث عمل في الجامعة، ثم استقر في انجلترا، حصل على لقب "سير" وخمس عشرة دكتوراه فخرية، من كتبه المنشورة: "منطق الكشف العلمي" وعقم النزعة التاريخانية" وهو الكتاب الذي هاجم فيه نظريات تفسير التاريخ، (بوبر، كارل: أسطورة الإطار، تحرير: مارك ر.بوبر، ترجمة: يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت١٩٩٣، ص٣١٧).

الحقيقة العلمية " إن حواسنا - على سبيل المثال – تخبرنا أن الشمس تدور حول الأرض، ولكن الفكر والعقل هو الذي أخبرنا أن الأرض هي التي تدور حول الشمس"[١]. ويعد أفلاطون منذ التاريخ القديم[٢]، وديكارت وليبنتز Liebinz(ت:١٧١٦)[٣] وسبينوزا (ت:١٦٧٧) Baruch Spinoza[٤]وأوغست كونت August comte (ت:١٧٩٨)[٥] وإمانويل كانط في التاريخ المعاصر من رواد المنهج العقلي في المعرفة على ما بينهم من اختلافات[٦]. وكان أرسطو قد حاول أن يوازن بين دور الحواس والعقل في المعرفة من خلال المنهج الاستقرائي لدراسة ظواهر الطبيعة والمنهج الاستنباطي لفهم التصورات العقلية أو المقولات، فالحدوس العقلية هي التي ندرك بها ما وراء المحسوس[٧]. على أن هناك فلاسفة غربيين يعترفون بقصور العقل في تعريف الحقيقة النهائية مثل إمانويل كانط، الذي بين فساد كل من المنهجين المعرفيين: النزعة العقلية والنزعة التجريبية، فالأولى لتجاوزها حدودها والثانية لقصورها. فالأولى تجاوزت حدود العقل وطاقاته، فادعت إمكان الوصول إلى إثبات كيانات لا يمكن بطبعها أن تكون موضوعات للتجربة مثل الله والحرية الإنسانية وخلود النفس. والمنهج التجريبي قاصر باقتصاره على معطيات التجربة الحسية، ولا يدرك وجود مبادئ متعالية. ويشير إلى أن كل المحاولات في هذا

(١ بوبر: أسطورة الإطار، ١١٠ وما بعدها.

(٢)النشار، مصطفى: رؤية الإنسان في الفكر اليوناني ، مجلة التسامح ،العدد٢٦ ، مسقط ٢٠٠٩م ،ص١٦ وما بعدها.

(٣) ليبنتز جوتفريد ولهلم : فيلسوف ألماني، ولد في ليبزنغ سنة ١٦٤٦ تلقى تربية راقية في فرنسا حتى علم ١٦٧٢ حصل على شهادة اللسانس في الفنون سنة ١٦٦٣ في ليبزنغ دخل كلية الحقوق ورفض لقب دكتور بسبب صغر سنة لكنه حصل على هذا اللقب في السنة نفسها من جمعية التدروف، ثم دخل السياسة فأصبح مستشاراً في البلاط توفي سنة ١٧١٦ في عزلة تامه (Wikipedia,Liebinz)

(٤) باروخ سبينوزا :ولد في عام ١٦٣٢م في أمستردام، هولندا، عن عائلة من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين. ، دخل في صراع مع المجتمع اليهودي بسبب إدّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة اللهّ(بدوي: الموسوعة الفلسفية،١٣٦/١ وما بعدها).

(٥) أوغست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧): عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي، يعد نفسه مؤسس علم الاجتماع،دعا إلى المنهج الحسي في المعرفة، ويعد المؤسس للفلسفة الوضعية. ولد في مدينة مونبلييه. وتخرج من مدرسة البوليتكنيك، ثم عمل سكرتيراً عند الفيلسوف سان سيمون الذي كان لأفكاره أثر كبير على نظرياته التي عرضها فيما بعد في أهم مؤلفاته: "محاضرات في الفلسفة الوضعية" و"نظام في السياسة الوضعية".(بدوي: الموسوعة الفلسفية،٣١١/٢).

(٦)الكيالي، عبد الوهاب و زهيري، كامل : الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤م ص ٣٨٠

(٧) النشار : رؤية الإنسان في الفكر اليوناني ،١٨

الإطار تنتهي لأن تكون مجرد محاولة نظرية؛ لأن العقل لا يستطيع أن يتجاوز حدود الظواهر الحسية، ولهذا لابد-حسب قوله- من قبول ثلاثة مصادرات هي الحرية وخلود النفس والله عز وجل[١] .

كذلك الفيلسوف الفرنسي المعاصر روجيه جارودي[٢](ت٢٠١٢م) الذي انتقد الفلسفات التي تستند إلى العقل والتي أثرت في الفكر الغربي وقادت إلى إفلاسه، بل رأى أن المأساة في الحضارة الغربية تعود إلى أنها اعتنقت ما قاله أرسطو وابن رشد[٣]والأكويني عن العقل، وأهملت الاتجاه الآخر - المعرفة الوجدانية والقلبية، فانتهت إلى الطريق المسدود. إذ إن العقل لا يدرك سوى الحدود بين الأشياء، ولا ينفذ إلى جوهرها[٤].

على أية حال، حاول بعض الفلاسفة أمثال الفيلسوف بيرس[٥](ت:١٩١٤م) C.S.Peirce الجمع بين كل من المنهج الاستنباطي العقلي والمنهج التجريبي بما سماه الاستخلاص، وهو افتراض فرضية معينة لتفسير ظاهرة ما ثم إثباتها استقرائيا[٦].

على أن هذا المنهج المعرفي يعد حسب الرؤية الإسلامية ومن الناحية النقدية قاصراً قصوراً كبيراً في الوصول إلى المعرفة الكلية، أو في طرح الأسئلة الكلية وإلى حقائق الأمور. فالفيلسوف أو العقلاني، ربما أحاط بعلم الكائنات، وجمع ثروة هائلة من المعلومات، حيث يعرف خاصية كل جوهر وعرض،

---

(١) كميل الحاج : الموسوعة،٦١٣ ؛عبد الرحمن بدوي : الموسوعة الفلسفية،٢٧٣/٢.

(٢) روجيه جارودي: فيلسوف فرنسي كان شيوعيا واسلم عام ١٩٨٢م. له الكثير من المؤلفات. والتي سببت له مواجهة مع اللوبي اليهودي في فرنسا.(شمسان، فوزية: روجية جارودي، الرؤية والتغيير، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء٢٠٠٣).

(٣) ابن رشد، محمد بن أحمد أبو الوليد (٥٢٠-٥٩٥هـ/ ١١٢٦-١١٩٨) فقيه وفيلسوف من قرطبة اهتم بفلسفة أرسطو وترجمها إلى العربية ، وزاد عليها زيادات كثيرة، ألف نحو خمسين كتاباً ، منها فصل المقال فيا بين الحكمة والشريعة من الاتصال ،ومنهاج الأدلة في الأصول، وتهافت التهافت في الرد على أبي حامد الغزالي. اتهمه أعداؤه بالزندقة والإلحاد، فحرضوا عليه المنصور، ونفاه إلى مراكش، واحرق بعض كتبه ، ثم رضي عنه وأذن له بالعودة إلا انه توفي بمراكش، ونقلت جثته إلى قرطبة.(ابن العماد، عبدالحي الدمشقي (ت١٠٨٩ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)،ج٤ص٣٦٧؛ الزركلي خير الدين ، الأعلام ،٣١٨/٥).

(٤) فوزية شمسان : روجية جارودي، ١٣،١٤.

(٥) شارلز ساندرز بيرس: فيلسوف وعالم رياضيات وعلوم أمريكي. ولد في ماساشوستس١٨٣٩م.وله إسهامات كبيرة في علم المنطق.(الفريد، جولس آر: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة بهاء درويش، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية ٢٠٠٦،ص١٥٧).

(٦) رسل، برتراند: حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت١٩٨٣م،ج٢، ص٢٤٤.

ولكنه لا يزال يجهل نفسه وقيمتها في الوجود والحياة. وحسب كلام جلال الدين الرومي أن روح العلم، وجوهر المعرفة، ولباب الحكمة أن يعرف الرجل قيمة نفسه، وغاية خلقه، وموقفه من خالقه، ومن هذا العالم ومصيره بعد الممات(١). إن عمق الإنسان وسعته ليسا من ناحية معلوماته ومكتسباته، بل بغنى قلبه وصفاء روحه وقربه من الحق عز وجل. فقيمة المعارف المطروحة كعلوم هي بنسبة إرشاد الإنسان إلى الحقيقة، أي أن المعلومات التي لا تساعدنا على فهم حقيقة الوجود والأشياء والإنسان، والمعارف النظرية التي لا تحمل فوائد عملية لا قيمة لها(٢). ولذلك الاعتماد على المنهج العقلي منفرداً لا يجيب عن الأسئلة الكلية عن الوجود والحياة ومصير الإنسان وبالتالي حقيقة التاريخ وجدليته.

هكذا هيمن على الفكر المنهجي الغربي اتجاهان فلسفيان هما: الاتجاه العقلي والاتجاه التجريبي الحسي، الاتجاه العقلي يغلب المعرفة بالعقل ويعطي الذات أولوية على الموضوع. بينما الاتجاه التجريبي يعطي الأولوية للعلم الخارجي بدلا عن الذات الإنسانية، ويغلب الاستقراء والتجريب بدلا عن التأمل العقلي(٣).

وبالنسبة للدراسات التاريخية، فإن المنهج العقلي هو المنهج الذي دعا إليه كارل بوبر وفولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨م) (٤)، على سبيل المثال في دراسة التاريخ.

المنهج الروحي:

وهو المنهج المعرفي الذي يحاول المعرفة من خارج إطار الحواس المادية أو العقل الظاهر. وهي المعرفة الشهودية أو القلبية، ومما يذكر أن أفلاطون كان يعلم بعضاً من تلامذته بطرق البحث والنظر العقلي، فسموا بالباحثين ورئيسهم أرسطو. وعلم بعضهم المعرفة بطريق تصفية النفس وإعمال الفكر الدائم في جناب القدس، أي المعرفة من خارج إطار الحواس، فسموا بالإشراقيين(٥). وهؤلاء لا ينكرون قيمة المصادر الأخرى للمعرفة، سواء الحسية أو العقلية(٦). ففي نظر أفلاطون أن هناك طريقين للصعود إلى المبدأ: طريق الديالكتيك

(١) الندوي : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ،٤٠٩/١.
(٢)كولن، فتح الله: صورة قلمية لرجل القلب ،مجلة حراء ، العدد الرابع عشر ، السنة الرابعة ، يناير –مارس ٢٠٠٩.
(٣) شمسان: روجيه جارودي،٥٦.
(٤) فولتير: كاتب فرنسي اشتهر بعدائه للكنيسة والدين (أنظر: Morley, J., Voltaire, London1923.).
(٥)محمود، عبد الحليم: التفكير الفلسفي في الإسلام، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧.
(٦) الزنيدي: مصادر المعرفة ،٤٤؛ بدوي : الموسوعة الفلسفية ،١٩٢/١، ٢٣٤

العقلي القائم على الاستقراء، وطريق ديالكتيك الحب، حيث يتملك النفس جنونُ الرغبة، فتصل إلى حدسٍ مفاجئ بالجمال يفوق الوصف.(١)

وعلى هذا المنهج سار أفلوطين(٢) (ت:٢٧٠م) Plotinus أحد أبرز زعماء الأفلاطونية المحدثة، التي حكمت على العقل بالقصور ورفعت من شأن الكشف والبصيرة. وكانت أغلب رسائله تدور حول " نجاة النفس من سجنها المادي ورجوعها إلى عالم الوجود والحقيقة، موطنها الأصلي"(٣). فالنفس التي تطهرت من كل قبح هي التي بإمكانها وحدها أن تدخل إلى ملكوت الجمال الخالص، أي أن تصل إلى المعرفة الحقه، يقول أفلوطين(٤):" إنه إذا حدث هذا فإن النفس ترى الإلوهية إلى الحد الذي يحق لها أن تصل إليه في رؤيتها، وتشهد نفسها قد أضيئت؛ أي: ملئت بنور عقلي أو بعبارة أخرى تدرك أنها ضياء خالص، غير مثقلة، نشيطة كما تسير في طريقها إلى أن تكون إلها"؛ أي: العودة إلى الله، على أن درجات المعرفة عند أفلوطين تمر بثلاث درجات، أولا الإحساس ثم النظر ثم بعد ذلك الوجد، فالإحساس درجة دنيا من درجات المعرفة، أما الوجد أو المعرفة الروحية، فهي أعلاها(٥). والغريب أنه رغم هذا الفكر الذوقي لأفلوطين والمعرفة الروحية إلا أنه رفض الديانة المسيحية، وعد من أصحاب الفكر الوثني حسب تعريف المؤرخين المسيحيين لهم، وربما يؤكد هذا أنها معرفة ذاتية محضة.

(١) صدقني، جورج: افلوطين ، الموسوعة العربية. http://www.arab -ency.com/ index.php?module pnEncyclopedia&func=display_term&id =1229

(٢) أفلوطين: فيلسوف أسكندري شهير من العالم القديم و يعد مؤسس الأفلاطونية الحديثة بجانب أستاذه أمونيوس ساكاس .وكانت الأفلاطونية الحديثة لها تأثير كبير في العصور الوسطى أشهر مؤلف له هو كتاب التاسوعات.(عويضة،كامل محمد: أفلوطين بين الديانات الشرقية والفلسفة اليونانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م، ص١٥ وما بعدها؛ عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية،١٩١/١ وما بعدها).

(٣) الشمالي، عبده: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ، دار صادر، بيروت١٩٧٩، ص٨٠.

(٤)محمد، ماهر عبد القادر و عطيتو، حربي عباس: اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،٢٠٠٧، ص١٠٠،٩٩.

(٥) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية،٢٠٨/١.

وفي الفكر المسيحي ذهب سان أوغسطين[١](ت:٤٣٠م) إلى تأكيد هذه المعرفة وأهميتها سواء في فهم الحياة أو تفسير التاريخ. حيث يمكن للنفس إدراك الحقائق من خلال الإشراق الباطن من الله على النفس، فالله هو مصدر النور الذي يجعل الحقائق العقلية مبصرة للعقل، على أنه لابد من تعاون ضروري بين العقل والحواس والإشراق الإلهي حتى يتمكن الإنسان من معرفة الحقائق[٢]. ويعد أوغسطين مؤسس تفسير التاريخ حسب المنظور المسيحي[٣].

وربما يعد هنري برجسون Bergson[٤](ت:١٩٤١م) امتداداً معاصراً لهذا الفكر في قضية منهج المعرفة بل ومتأثرا بالأفلاطونية المحدثة في بعض من فلسفته، حيث يعد الحدس والوجدان الخارج عن إطار الحواس هو منهج المعرفة الحقيقي[٥]. ولكن الوجدان عنده ليس وليد الغريزة بل هو ناتج عن التأمل الفكري المستمر والتفكير العقلي المتواصل، مع حشد الوقائع العلمية السليمة ومقارنتها ببعض[٦].

ومنهج المعرفة من خارج إطار الحواس كذلك منهج يتبعه رجال الدين الهندوس عبر ما يسمى الفيدا[٧]، وهي إما تهذيب للجسد أو التأمل العميق للوصول إلى المعرفة الشهودية. وجسد هذا من الفلاسفة الهنود المعاصرين الفيلسوف راهكرشنان[٨] Radhakrishnan (ت:١٩٧٥م) حيث أنكر النزعة

(١) سان أوغسطين: رجل دين مسيحي، له العديد من المؤلفات أشهرها : مدينة الله ، والاعترافات، تنسب إليه نظرية العناية الإلهية في التاريخ.(الشيخ، رأفت: تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٠،ص٣٧ -٣٩).

(٢) أوغسطين، سان: المعلم، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، ص ٦٢-١٦٥؛ بدوي: موسوعة الفلسفة،٢٥٠/١.كان أحيانا يثور جدل بين المفكرين المسيحيين في العصور الوسطى حول مناهج المعرفة هذه. (اليوسف، عبد القادر احمد: العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧، ص٢١٤).

[٣] احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص١٧٢.

(٤) برجسون، هنري: فيلسوف فرنسي من أصل يهودي ولد في باريس عام ١٨٥٩، حصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٢٧م. له العديد من المؤلفات الفلسفية. (بدوي: الموسوعة الفلسفية، ٣٢١/١).

(٥)الزنيدي: مصادر المعرفة، ٢٣١.

(٦) بدوي: الموسوعة الفلسفية،٣٣٣/١.

(٧) عن منهج الفيدا في المعرفة ينظر: يوجي، المهراجا ماهيش: الاتصال بالأعماق، ترجمة عبد الوهاب الصادق، دار المطبوعات الجديدة، (د.م د. ت)، ص ٤٧-٥٠؛ زيعور، علي: الفلسفات الهندية، دار الاندلس للطباعة، بيروت ١٩٨٣م ص ١٠٤-١٠٨.

(٨) راهكرشنان: رئيس الهند الأسبق، واحد ابرز علمائها وأساتذتها الأكاديميين في الدين والفلسفة، كان أستاذا لفترة في جامعة أكسفورد. (Wikipedia, Radhakrishnan)

العقلية في إدراك أمور الروح والإلهيات؛ لأنه يرى أنه إذا استخدم العقل والبرهان العقلي في هذه الأمور فإنه إنما يصل إلى فرض، مهما يكن صادقا، وإذا كان للمعرفة حسب اعتقاده عدة أنماط: حسية وتصورية ووجدانية، فإن المعرفة الأخيرة هي البصيرة النافذة الكاملة؛ لأنها ليست وليدة نشاط جزء من كياننا الواعي: الحس والعقل، بل كل كياننا الواعي(١).

وبدأ بعض من الأوربيين التأثر بهذا المنهج المعرفي، ولعل من أحدث الكتب التي صدرت في الولايات الأمريكية عن تجربة لكاتبة أمريكية مارست حالة التأمل حتى شهدت حالة عرفانية(٢). ثم تناقلت وكالات الأخبار العالمية خبر الناسك الهندي الذي له ٧٤ سنة دون طعام أو شراب، الشيء الذي أذهل الكثيرين، فخضع للفحوصات الطبية الدقيقة لمعرفة من أين يستمد طاقته للبقاء. ولم يكن هو الوحيد ولكن تحدثت الأخبار أيضا عن آخرين يمارسون هذه الرياضة ويظلون فترات طويلة دون طعام(٣).

وفي القرنين الماضيين- منذ منتصف القرن التاسع عشر- تأسست كذلك في أوروبا الحركة الروحانية Spiritism، التي تقول، أيضاً، بالمعرفة خارج إطار الحواس. ثم أخذت الجامعات الأوربية تؤسس فيها أقساماً للعلوم الروحية(٤).

وتوضح أدبيات الحركة الروحانية في أوروبا بعضاً من جوانب هذا الفكر. يقول الدكتور شارل ريخيت Charles Francis Richter (ت١٩٨٥:) (٥) الحائز على جائزة نوبل:(٦)" لقد استطعت في أدنبره أن أؤكد أمام مائة من

---

(١) بدوي : الموسوعة الفلسفية ،٥١٤/١.

(٢) ينظر: Gilbrrt ، Elizabeth. ، Eat ، Pray, Love, New York , 2007.

(٣) ينظر: صحيفة الشرق الأوسط، عدد٤/٥/2010م.

(٤) للمزيد عن الحركة الروحانية ينظر:

Wikipedia, Separatism Britannica, Separatism. -

-Liljencants, Braon Johan., Separatism and Religion, A Moral Stndy, London, 1918.

وعن نقد الروحانية الغربية ينظر: محمود، عبد الحليم : المدرسة الشاذلية ، قضية التصوف ، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٣١٥ وما بعدها.

(٥) تشارل فرانسيس ريخت (١٩٠٠ /١٩٨٥) عالم زلازل وفيزيائي أمريكي. مخترع مقياس ريختر، والذي كان ولا زال يستخدم لقياس قوة الزلازل. Wikipedia, Charles Francis (Richter).

(٦) عبيد، رؤوف: الإنسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦، ج١، ص ٥٠٨.

علماء الجسم أن حواسنا الخمس ليست هي الوسائل الوحيدة للمعرفة بل أن ثمة شذرات من الحقيقة ترد أحيانا للإدراك بطرق مختلفة".

ويقول أيضا أحد علماء الطبيعة[١]:" ولنذكر في هذا المقام أننا لسنا أجساماً فقط بل كل منا مركب من عقل ووجدان وروح فضلاً عن الجسم، ويتصل الإنسان بهذه الكائنات العليا المدركة ويناجيها بغير حواسه البدنية، ويرتاح إلى الاتصال بها أكثر مما يرتاح إلى اتصاله بهذا العالم المادي الذي قضى عليه أن يعيش فيه إلى حين... إن كل الرجال العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون إلى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون إلى الأمور الدنيوية. وإذا عملنا على تقوية مداركنا وقوانا أطلعنا على أكثر من ذلك. ومكننا الإلهام من معرفة أمور لا نقدر أن ندركها بغيره.

إن طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان يرون رؤى ويطلعون على حقائق وتظهر منهم بدائه يحاولون تدوينها كيما ينتفع بها غيرهم".

وعلى ذلك فإن من يمعن النظر في سير الأشخاص الذين غيروا وجه التاريخ الإنساني - حسب الروحانية الأوروبية – يلمس دور الإلهام جلياً عند الكثيرين، فأغلب عباقرة التاريخ وفلاسفته وشعرائه لم يكونوا من المثقفين ثقافة خاصة ولا ممن كانوا طلاباً ممتازين في دروسهم، بل كانوا جلهم من أصحاب النفوس المتواضعة البسيطة الخالية من العقد النفسية، ومن ادعاء العظمة، فالغرور هو العدو اللدود للإلهام الروحي، كما كانوا ممن تألموا كثيراً في طفولتهم؛ لأن الألم من عوامل صفاء الروح الإنسانية وشفافيتها وتطورها السريع للأمام[٢].

على أن هذا المنهج الروحي في المعرفة يعاني من خلل خطير، وهو تعطيل المعرفة من خلال الحواس والعقل. وإن كان قد وصل من خلال المعرفة الروحية إلى مقولات راقية ومعرفة حكيمة. ولكنها تظل معرفة ناقصة وتعطيلية.

---

(١) عبيد : الإنسان روح لا جسد، ١/ ٥٠٧ ، ٥٠٨.

(٢) عبيد: الإنسان روح لا جسد ، ١/٥١٥م ؛ كولن، ولسن: الإنسان وقواه الخفية ، ترجمة سامي خشبة، دار الآداب، بيروت ١٩٨٠ ص٨. تذكر سير الفلاسفة أنهم أحيانا كانت ترد إليهم المعارف والعلوم والنظريات الفلسفية العميقة من خلال الرؤى والأحلام، مثل رينيه ديكارت على سبيل المثال.(كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، بيروت ١٩٨٦م، ، ص٥٩).

ولا تقتصر المعرفة خارج إطار الحواس في أوروبا والغرب اليوم على الروحانية الحديثة، بل ظهرت علوم حديثة في علم النفس تؤكد إمكانية المعرفة من خارج الحواس المادية، يقول الدكتور جوزيف ميرفي ***Joseph Murphy*** (ت:١٩٨١م)[١]:" ويرى عقلك الداخلي (العقل الباطن) بدون حاسة البصر الطبيعية، فهو يمتلك القدرة على رؤية كل ما هو واقع وراء نطاق البصر، وهو ما يطلق عليه الاستبصار أو حدة الإدراك، ويمكن لعقلك الباطن أن يغادر جسدك ويسافر إلى أماكن بعيدة، ويجلب- في أحيان كثيرة- معلومات دقيقة وحقيقية تماما. ومن خلال عقلك الباطن، تستطيع أن تقرأ أفكار الآخرين، وتقرأ محتويات الخطابات والخزائن المغلقة. ولدى عقلك الباطن القدرة على أن يعي ويفهم أفكار الآخرين بدون استخدام وسائل الاتصال العادية الظاهرة".

على أنه يلاحظ في هذه المعرفة الكشفية أو الروحية أنها لا تغير من المعتقدات الأساسية لصاحبها حيث نجدها عند الفيلسوف الموحد (أفلوطين) وعند المسيحي (أوغسطين) وعند الهندوسي الموحد (غاندي ت١٩٤٨م)[٢].

وبالنسبة للدراسات التاريخية، فإن المنهج الروحي هو المنهج الغالب على عدد من المؤرخين وفلاسفة التاريخ مثل سان أوغسطين[٣] وهردر Herder [٤] (ت:١٨٠٣م)[٥] وفلاسفة المنهج الحدسي على سبيل المثال. كذلك منهج المستشرق المجري جولدتسهير Goldziher (١٨٥٠- ١٩٢١م) [٦]، الاستدلالي المعتمد على البصيرة والوجدان، لكن مع الاعتماد على النصوص

---

(١) قوة عقلك الباطن ، مراجعة ايان ماكماهان، مكتبة جرير، الرياض ٢٠٠٨ ، ص٢٩. جوزيف ميرفي: رجل دين مسيحي ومؤلف أمريكي من أصل ايرلندي، أسس مراكز تدريب وتوعية وله عدة مؤلفات منها كتاب قوة عقلك الباطن.(جوزيف ميرفي: قوة عقلك الباطن، ص٣٦٠).

٢) مهاتما غاندي: رجل دين هندي ولد عام ١٨٦٩م، صاحب فلسفة اللا عنف التي قاد بها حركة استقلال الهند من الاستعمار البريطاني.(مظهر، إسماعيل: مهاتما غاندي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٣٤م).

٣) عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ٢٥٠/١.

٤) هردر، جوتفريد (١٧٤٤-١٨٠٣): فيلسوف ورجل دين وشاعر ألماني. امتاز شعره بالسهولة والنزعة الوجدانية , أشهر مؤلفاته كتابه الفلسفي خواطر في فلسفة تاريخ الإنسانية وفيه حاول أن يفسر النمو الإنساني عن طريق البحث في ماهية اتصال الإنسان بالبيئة الطبيعية.(للمزيد ينظر: Herder, J. G., Another Philosophy of History and Selected Political Writings, Translated Evrigenis, I. D. and Pellerin, D., Indianapolis 2004, pp ix ff).

٥) كاسيرر: في المعرفة التاريخية، ، ٨ وما بعدها.

(٦) جولدزهير : مستشرق مجري من أصل يهودي ، يعد من مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا. كان أول من شكك بالحديث النبوي.(:الزركلي: الأعلام،٨٤/١).

التاريخية[١]. وفلسفة شبنجلر Spengler[٢] (١٨٨٠-١٩٣٦)[٣] الذي يعتقد أن للوجود صورتين الطبيعة والتاريخ، الطبيعة يحكمها منطق العلية بينما التاريخ يحكمه سياق المصير، ومعرفة الطبيعة بالعقل، بينما معرفة التاريخ بالوجدان.[٤] وبحسب المؤرخ ويدجيري، فإنه منهج أرنولد توينبي[٥](ت١٩٧٣م) Toynbee أيضا.[٦]

المنهج الكلي (الإسلامي):

المعرفة هي أسمى مقصد للإنسان في أدائه التعبدي لله عز وجل. ولكن تكتنف هذه المعرفة إشكالية حقيقية تحدد مستوى ودقة وصدقية هذه المعرفة وهي إشكالية مناهج المعرفة نفسها. وبتعدد المناهج تتعدد المعرفة وأطروحاتها وخاصة في قضية التعرف إلى الله عز وجل والاتصال به، أو معرفة الله والتواصل معه. والمناهج الثلاثة السالفة تثير تساؤلا خطيرا وهو: هل نعرف الله بالنص أم نعرف الله بالعقل أم نعرف الله بالقلب والوجدان[٧]. هذه الإشكالية لا توجد في الإسلام؛ إذ أن المنهج القرآني للمعرفة بشكل عام يقوم على المثال على ذلك في المعرفة الحسية قوله تعالى " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ "السجدة(٢٧).

---

[١] عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٣م، ص١٩٩.

(٢) اسوالد اشبنجلر: مؤرخ ومفكر ألماني ، عاش حياة في غاية من العزلة فترة طويلة من حياته، أشهر كتبه تدهور الحضارة الغربية، والذي سبب ضجة كبيرة في أوروبا آنذاك.(عبد الرحمن بدوي : اشبنجلر، دار القلم، بيروت ١٩٨٢ ، ص٣ وما بعدها).

[٣] ينظر: اشبنجلر، اسوالد : تدهور الحضارة الغربية ،ترجمة أحمد الشيباني ، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م، ص٨٧ وما بعدها

(٤) للمزيد عن نظرية اشبنجلر ينظر: احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، ٢٠٠٤،ص٢٤٥ وما بعدها.

(٥) ارنولد توينبي: مؤرخ انجليزي ولد عام١٨٨٩ له العديد من المؤلفات منها تاريخ الحضارة الهلينية ومحاكمة الحضارة وغيرها ، لكن أهمها كتابه : دراسة للتاريخ.(رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ،١٩٣ وما بعدها).

[٦] ويدجيري: البان: المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرطوط، دار القلم، بيروت ١٩٧٩،: ص ٣٢٣.

(٧) النموذج التاريخي لهذا الصراع المناهجي كما حدث بين برنارد اوف كليرفو الذي قال الإيمان إحساس وشعور وبين بيتر ابيلارد الذي قال الله عز وجل وهب العقل للإيمان به ومعرفة الدين.(اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية، ٢١٤).

وقد وضح هذا المنهج المعرفي الاستقرائي من تعلم قابيل لكيفية دفن أخيه هابيل من خلال مشاهدته وملاحظته للغراب الذي دفن غراباً. "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ "المائدة(٣١). وأدى اتخاذ المسلمين المنهج الحسي إلى ظهور العلوم التطبيقية عند العرب والمسلمين، في الوقت الذي لم تعرف هذا المجال الحضارة الأوروبية القديمة.[١]

لكن المنهج الإسلامي لم يقف عند الحواس وحدها كطريق للوعي والمعرفة، بل تجاوز الملاحظة والتجريب والاستقراء والقياس لوعي وإدراك ظواهر وحقائق الكون والمادة وما وراء المادة.

ففي المعرفة العقلية والفكرية قوله تعالى:"قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" سبأ (٤٦).وقوله تعالى:"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"النحل(١٢). وقوله تعالى :" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)آل عمران. وعن أم الدرداء قيل لها : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء (ت:٣٢ه)[٢] ؟ قالت: التفكر.[٣] وفي الأثر عن الحسن البصري (ت:١١٠هـ)[٤]، عن عامر بن عبد قيس (ت:٩٠هـ)[٥] قال: "سمعت

(١) حربي عباس عطيتو و حسان حلاق: العلوم عند العرب ، أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥م..

(٢) أبو الدرداء ، عويمر بن مالك بن قيس الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل كان تاجرا في المدينة، ثم تفرغ للعبادة.ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. تولى قضاء دمشق زمن عمر. وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظا، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف.(الاصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ه،ج١ص١٠٨).

(٣)ابن أبي شيبة، أبو بكر (ت٢٨٥ه): المصنف في الأحاديث والأخبار، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض١٤٠٩ه، ج٧ص١١١ ؛ البيهقي، ابوبكر بن احمد (ت٤٥٨ه): شعب الإيمان، تحقيق/ عبدالعلي حامد، مكتبة الرشد للنشر، الرياض١٤٢٣ه، ج١ص٢٦٢.

(٤) الحسن البصري ، الحسن بن يسار، أبو سعيد: التابعي الناسك العابد الفقيه كان من العلماء الربانيين الداعين إلى الله بلا خوف من سلطان.(الاصبهاني: حلية الأولياء،١٣١/٢ وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام،٢٢٦/٢).

(٥) عامر بن عبد قيس التميمي العبدي الزاهد، روى عن عمر وسلمان الفارسي، وتوفي في حدود السبعين للهجرة.(الذهبي: سير أعلام النبلاء،١٥/٤؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤ه): الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠،ج١٦ص٣٥).

غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر". وعن الحسن البصري أيضا:" تَفَكُّر سَاعَة خير من قيام ليلة"[١]. وسئل إبراهيم بن أدهم (ت:١٦١هـ)[٢] عن العبادة، فقال: " رأس العبادة التفكر والصمت إلا من ذكر الله عز وجل.." [٣].

أما منهج المعرفة القلبية من القرآن، فقولة تعالى:"لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "الأعراف(١٧٩).وقوله تعالى:" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "الحج (٤٦).

وقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم[٤]: " اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله". وقوله صلى الله عليه وسلم :[٥]" إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِن الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ". وقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[٦]" إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ، فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَن وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِن اللَّهِ فَلْيَحْمَد اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ}.

وعَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: " كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ " قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤ه):تفسير القرآن العظيم ،تحقيق/ محمود حسن، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤ ،ج١/ص٥٨١.

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: الزاهد العابد كان أبوه من أغنياء بلخ، تفقه ورحل إلى بغداد، وزار العراق والشام والحجاز.وأخذ عن كثير من العلماء.وكان يعيش من العمل اليدوي ويشترك مع المجاهدين في قتال الروم.(الاصبهاني: حلية الأولياء،٣٦٧/٧).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان،٢٠/١١. للمزيد عن أهمية العقل في الإسلام ينظر: زقزوق، حمد حمدي: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣، ص٢٥ وما بعدها.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم ٧٣٦٩؛ الترمذي رقم٣٠٥٢؛ الشهاب القضاعي في مسنده رقم٦٢٢.

(٥) رواه البخاري رقم ٣٢١٠ و٣٤١٣ ورواه مسلم رقم ٤٤١١ وغيرهم.

(٦) رواه الترمذي رقم ٢٩١٤ والنسائي في السنن الكبرى رقم١١٠٥١ والطبراني في المعجم الكبير رقم٨٤٥٤ وابن حبان في صحيحه رقم ١٠٠٢.

تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وأظمأت نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: " يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ "، ثَلاثًا[١].

والتاريخ الإسلامي مليء بشواهد المعرفة من خلال القلب أو من خارج أطار الحواس، ولعل أشهرها حادثة عمر رضي الله عنه عندما نادى من فوق المنبر: يا سارية الجبل. إذ رأى وهو في المدينة سارية والجيش الذي معه وهو يبعد عنه ألاف الأميال[٢].

وكان الإمام على بن أبي طالب -كرم الله وجهه- شرح شيئا من هذه المعرفة بقوله عن السائر في طريق الله عز وجل[٣]: " قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأنار له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الراحة، بما استعمل قلبه ، وأرضى ربه".

وعلى ذلك أكد جمهور علماء الإسلام بمختلف مذاهبهم وتوجهاتهم على وجود المعرفة القلبية أو ما يسميه البعض بالمكاشفة[٤]. وإن كان اختص بهذه المعرفة أهل التصوف بشكل أكثر من غيرهم؛ لأن التصوف علم يهتم بالحالة القلبية والروحية للمسلم[٥]. وكان بعض الفقهاء ينكرون مثل هذه المعرفة الكشفية أمثال القاضي صالح بن مهدي المقبلي[٦] (ت:١١٠٨هـ/١٦٩٦م)،

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم٣٢٨٩؛ ورواه عبد الرزاق في مصنفه رقم٢٠١١٤؛ وابن أبي شيبة في مصنفه برقم٧٤؛ والبيهقي في شعب الإيمان برقم١٠٥٩٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ه) : تاريخ الأمم والرسل والملوك ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ه ،ج٢ص ٥٥٤،٥٥٣؛ الجزري ، ابن الأثير أبو المحاسن على بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، (د.ن) بيروت (د.ت) ،ج١ص٤٦٧ ؛ وللمزيد عن المعرفة القلبية ينظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : أحياء علوم الدين، ضبط نصه وخرج أحاديثه/ محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٤، ج ٣ ص٣ وما بعدها.

(٣) نهج البلاغة ، ضبطه ووضع فهارسه العلمية :صبحي الصالح، (د.ن)، بيروت١٩٦٧،ص٣٣٧.

(٤) ينظر على سبيل المثال: ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (ت٧٢٨ه): مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع عبدالرحمن النجدي الحنبلي، (د. ن)، بيروت (د.ت)،ج ١ ص ١٨٦،ج٢ص٢٤٢، ج٤ص٢٤٠ .

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين،٢٥/٣ وما بعدها. (طبعة القاهرة)

(٦) صالح بن مهدي بن علي المقبلي: فقيه مجتهد. ولد في قرية مقبل من بلاد كوكبان، باليمن، نشأ في ثلا وتعلم فيها وفي كوكبان.وكان على مذهب الإمام زيد، فخرج عن التقليد.رحل إلى مكة سنة ١٠٨٠ ه فاشتهر، وكتب فيها مؤلفاته، وتوفي بها.من مؤلفاته العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ. (الشوكاني: البدر الطالع،٢٨٨/١).

ولكن بعد حادثة خاصة وقعت له مع ابنته تبين له صدق هذه المعرفة؛ إذ مرضت ابنته زينب في بيته بمكة وكان ملاصقا للحرم، فكانت تخبره وهى من وراء جدار بما فعل في الحرم، وكان يغلق عليها مرارا وتذكر أنها تشاهد كذا وكذا، فيخرج إلى الحرم فيجد ما قالت حقا(١).

كذلك كان حال معظم الفلاسفة المسلمين يثبتون المعرفة القلبية أو الاشراقية، ولكن للمعرفة الإيمانية وليس للمعرفة الفلسفية، كما هو الحال عند الكندي على سبيل المثال(٢).

وأدوات معرفة الله هي العقل والقلب معا. وسواء كانت المعرفة بالله عقلياً أو ذوقياً، فإن موضوعها الذات الإلهية من حيث صفاتها وأسمائها وأفعالها. وكل نوع أو فئة من البشر يناسبهم شكل من أشكال هذه المعرفة. فالمعرفة الحسية هي معرفة العوام، والمعرفة العقلية معرفة الخواص بينما المعرفة القلبية الروحية هي معرفة خواص الخواص(٣).

يقول الإمام الغزالي عن هذه المعرفة القلبية(٤):" وهو علم الصديقين والمقربين، أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب". وبين

(١) الشوكاني : البدر الطالع ،٢٦٧/١. أشار الأستاذ الدكتور محمد الكمالي إلى شمول المعرفة الحسية والعقلية والقلبية في المنظور المعرفي عند المقبلي. ينظر: الكمالي، محمد محمد: المنظور المعرفي عند العلامة المقبلي، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، المجلد٣٢، العدد٢ يوليو-ديسمبر٢٠٠٩،صنعاء،١٣٦،١٣٤.

(٢) الكمالي، محمد محمد: أصالة المذهب المعرفي عند الكندي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة صنعاء،المجلد٣٢، العدد١ يناير- يونيو٢٠٠٩،ص٣٥.

(٣) الملطاوي: الصوفية في إلهامهم ، ج١ص١١.

(٤) إحياء علوم الدين ، ج١ص٣١.

الغزالي أن للإدراك درجات، الأولى هي قوة الحس، والثانية قوة العقل، والثالثة قوة أخرى وراء العقل، ثم النبوة وهي طور آخر يحصل فيه نور لا يصل إليه العقل(١).

كذلك يقول الغزالي[٢]:" فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي فإذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة".

وعن المعرفة القلبية يشير جلال الدين الرومي، إلى أن هناك حواس باطنية وراء هذه الحواس الظاهرة، كنسبة التراب والخزف إلى الذهب الخالص من التبر المسبوك. ويقول(٣)": إن الحواس الظاهرة تستمد غذاءها وقوتها من الأبدان والأشباح، أما الحواس الباطنية، فإنها تستمد غذاءها وقوتها من النفوس والأرواح، وأن قوت الأولى الظلام الذي فطرت عليه الأجسام، وقوت الآخرة الحواس الباطنة، النور الذي فطرت عليه الأرواح والقلوب... إن الذين اعتمدوا على حواسهم الظاهرة واقتصروا عليها، وأنكروا ما عداها، ضيعوا حواسهم الباطنة، وفقدوا قواهم ومواهبهم التي منحهم الله إياها، وأصبحوا محجوبين عميانا، لا يمشون إلا بعكازة أو بقائد يقودهم، وأصبح كثير من الحقائق والدقائق مستورة عنهم".

والقاعدة الإسلامية العامة هي أنه يستطيع كل مسلم أن يصل إلى مستوى عال من هذه المعرفة ولكن بشروطها بحسب الحديث القدسي الصحيح(٤) " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " . هكذا يصير المؤمن يسمع ويرى ويبطش من خلال القدرة الإلهية، بعد أن يتبع المنهج

(١) الشمالي: تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ،٥١١.
(٢) إحياء علوم الدين، ٢٦/٣.
(٣) أبو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، دار القلم، الكويت١٩٦٩،ص٣٣٧.
(٤) رواه البخاري رقم ٦٠٢١ .

الإسلامي في المعرفة. ويعزز هذا الحديث قوله عز وجل:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)العنكبوت. فالمجاهدة للنفس هو المنهج الذي يقود إلى الاهتداء إلى سبل المولى عز وجل، وبالتالي إلى المعرفة به. كذلك لخص هذا المنهج قوله تعالى:" قل إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا..".

ويقول الأمام شمس الدين السخاوي[١](ت: ٩٠٢هـ) عن الجمع بين المنهج العقلي والمنهج القلبي[٢]: "فمن الطالبين من راح إدراكه بالبحث والنظر وهؤلاء زمرة الباحثين، ورئيسهم أرسطو... ومنهم من سلك طريق تصفية النفس من الرياضة، وأكثرهم يصل إلى أمور ذوقية يكشفها له العيان ويجل أن توصف بلسان... ومنهم من ابتدأ أمره بالبحث والنظر وانتهى إلى التجريد والتصفية، فجمع الفضيلتين، وينسب مثال هذا الحال إلى سقراط وأفلاطون والسهروردي والبيهقي".

وضح ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ)[٣] منهج المعرفة القلبية عند الصوفية قائلاً[٤]:" ثم إن المجاهدة والخلوة والذكر يتبعهما غالباً كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح، إذا رجع من الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه، وتجدد نشؤه وأعان على ذلك الذكر؛ فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ... فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية، والعلوم اللدنية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها

(١) السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين: مؤرخ وفقيه وعالم بالحديث والتفسير، ولد في القاهرة، وتوفي بالمدينة ساح في البلدان سياحة طويلة، وألف الكثير من المؤلفات من أشهرها الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع.(الزركلي، الأعلام،١٩٤/٦).

(٢) عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، ١٣٦، ١٣٧.

(٣) ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ابوزيد: الفقيه والأصولي والمؤرخ ولد بتونس من أسرة حضرمية اشتهر بالعلم فشغل وظائف حكومية وعلمية في تونس ومصر ، وزار العديد من البلدان والحكام، اعترف بفضله العلماء الغربيون المحدثون. من أشهر مؤلفاته كتاب ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر، والمقدمة (ابن العماد: شذرات الذهب، ٧٥/٧؛ الزركلي: الأعلام،٣٣٠/٣).

(٤) المقدمة ، دار القلم، ط٤، القاهرة ١٩٨١م، ص ٤٦٧ ، ٤٧٥ ؛ ينظر أيضاً الغزالي ، إحياء علوم الدين، ضبط نصه: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار ، القاهرة٢٠٠٤م ، ٢٥/٣ . يعرف البعض كشف حجاب الحس أنه خروج الروح من الجسد يقظة مع عدم الانفصال النهائي عنه.

من الأفق الأعلى أفق الملائكة ... ثم إن الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة"[١].

ويقول ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)[٢]: "أذهلهم عن إدراك ما هم فيه وهيمهم عن شهود ما هم له وضن بحالهم عن علمهم ما هم به فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم عن قصد صادق يهيجه غيب وحب صادق يخفى عليه علمه ووجد غريب لا ينكشف له موقده وهذا من أدق مقامات أهل الولاية."

ولهذا فإن هذا المنهج المعرفي عند المسلمين مقيد أولاً: باستقامة الخُلق وثانياً: الإلمام بعلوم الشريعة والتفقه بالدين والتقيد به، وقالوا: إن هذه المعارف والعلوم المتحصلة من هذا المنهج هو نتيجة العمل بالكتاب والسنة، فمن عمل بما علم تكلم كما تكلموا وصار جميع ما قالوه بعض ما عنده؛ لأنه كلما ترقى العبد في باب الأدب مع الله تعالى دق كلامه على الإفهام[٣]. ولهذا كان هذا المنهج عند المسلمين جامعاً للمناهج الثلاثة الحسية والفكرية والوجدانية. وقد بين هذا المنهج القلبي في المعرفة عدد من كبار علماء الإسلام ، منهم القاضي محمد بن على الشوكاني (ت:١٢٥٠ه)[٤]، الذي يقول[٥]": ثم الاشتغال بذكر الله وبالعبادة المقربة إليه... ثم يفتح الله باباً كان عنها محجوبا كغيره... فيبصر ويسمع ويفهم بحواس لا يحجبها عن حقائق الحق حاجب".

---

(١) عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ،١٣٤.

(٢) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣،ج٣ص١٨٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الدمشقي، أبو عبد الله،: الفقيه العالم ولد وتوفي في دمشق. تتلمذ للشيخ ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، و ينتصر له في جميع ما يصدر عنه.سجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا. وأطلق بعد موت ابن تيمية. له مؤلفات كثيرة منها :إعلام الموقعين والطرق الحكمية في السياسة الشرعية مفتاح دار السعادة وزاد المعاد. (ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد (ت٨٥٢ه) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبدالمعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد١٩٧٢م، ، ج٣ص٤٠٠؛ الزركلي: الأعلام، ٥٦/٦).

(٣) الألوسي : روح المعاني ،٥ /٦٣.

(٤) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء.ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، ونشأ بصنعاء . وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد لمن وصل إلى درجة الاجتهاد.له العديد من المؤلفات المشهورة.(الزركلي : الأعلام،٢٩٨/٢).

(٥) تحقيق وترتيب/ أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ٢٠٠٢م ج٢ص١٠٤٣-١٠٥٥؛ صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تحقيق / عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ ، ج٢ ص٣٧٠ ، ٣٧١ .

أما من اتبع طريق المجاهدة والرياضة والصوم عن غير طريق الشريعة والسنة المحمدية، فربما تنقدح له علوم ومعارف، لكنها ربما تكون استغواءات شيطانية وتلاعبات نفسانية، لهذا حذر علماء الإسلام من الرياضات الروحية المجردة التي تتم بغير هدى الشرع وإتباع سنة الحبيب المصطفى، وقالوا: إن ما يتراءى للمتريض بغير الشرع، إنما يكون استغواء شيطاني، فهذه فنون من العلوم غير ممنوعة عن الرهبان والبراهمة[١]. كما يقول الإمام الشاذلي (ت:٦٥٦هـ)[٢]:" إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام، ولا المشاهدة". وعلى ذلك لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، وهذا هو منهج أهل التصوف[٣].

كما أن اتخاذ طريق الرياضة والتصفية القلبية دون تفقه وتعلم للشرع؛ أي: تصوف بدون تفقه، هو زندقة كما قال الإمام مالك:" من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"[٤]. ولهذا قالوا: إن أمثل طرق الوصول إلى الحكمة والمعرفة بالله هي طريق العقل وطريق التصفية القلبية معاً[٥].

(١) الرندي ، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عباد النفري (٧٩٢ه): غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٨٠،٣٨١.

(٢) محمود: قضية التصوف، المدرسة الشاذلية ، ٧٥. أبو الحسن علي بن عبدالله الشاذلي المغربي: الإمام الصوفي الزاهد إليه تنتسب الطريقة الشاذلية في التربية والسلوك، ولد بالمغرب وتفقه وتصوف بتونس ثم سكن الإسكندرية داعيا إلى الله ومربيا، خرج مجاهدا للصليبيين في معركة المنصورة رغم انه كان ضريرا، توفي بصحراء عيذاب وهو متوجها للحج.(الذهبي، شمس الدين محمد (ت٧٤٨ه): العبر في خبر من غبر، تحقيق/ صلاح الدين المنجد، (د.ن) الكويت١٩٨٤، ج٥ص٢٣٢؛عبدالحليم محمود: قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ١٥-١٢٠).

(٣) التادفي، محمد بن يحيى : قلائد الجواهر، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة٢٠٠٤م ،١٦٥.

(٤) زروق، احمد بن احمد البرنسي (ت٨٩٩ه): قواعد التصوف، ضبطه: محمود بيروتي، دار البيروتي ، دمشق٢٠٠٤م، ص١؛ عبدالفتاح اليافعي : المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م،ص ١٠١،نقلا عن حاشية العدوي على شرح الزرقاني،١٩٥/٣ ومرقاة المفاتيح لملا علي القاري، ٤٧٨/١ ؛ ينظر أيضا: الملطاوي: الصوفية في إلهامهم ، ج١ص١٩٨.

(٥) محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، ١٤٠،١٤١.

ويقول أبو سليمان الداراني (ت: ٢١٥ ه) [١]:" ليس ينبغي لِمَنْ ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله حين وافق ما في نفسه ".

وحذر الإمام الغزالي من أقوال الشطح فقال[٢]:" وأما الشطح، فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية: أحدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام".

كذلك كان تحذير ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) [٣] الذي يقر بعلم التصوف وبالمعرفة القلبية ويحذر من مزالقها: " ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ التَّوَجُّهِ إلَى اللَّهِ إذَا أَقْبَلُوا عَلَى ذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ : شَهِدُوا بِقُلُوبِهِمْ هَذِهِ الرُّبُوبِيَّةَ الْجَامِعَةَ وَهَذِهِ الْإِحَاطَةَ الْعَامَّةَ فَإِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ... فَقَدْ يَشْهَدُ الْعَبْدُ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَ الْمَصْنُوعَاتِ وَهُوَ الْحَقُّ الْمَوْجُودُ فِيهَا الَّذِي هُوَ شَامِلٌ لَهَا فَيَظُنُّ أَنَّهُ الْخَالِقُ لِمُطَابَقَتِهِ لَهُ فِي نَوْعٍ مِنْ الْعُمُومِ وَإِنَّمَا هُوَ صُنْعُهُ "[٤].

ويقول كذلك[٥]:" وَأَهْلُ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُخَاطَبَاتِ يُصِيبُونَ تَارَةً ؛ وَيُخْطِئُونَ أُخْرَى؛ كَأَهْلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِي مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ؛ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ جَمِيعُهُمْ أَنْ يَعْتَصِمُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يَزِنُوا مَوَاجِيدَهُمْ وَمُشَاهَدَتَهُمْ وَآرَاءَهُمْ وَمَعْقُولَاتِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ".

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ج٣ص٥١١. أبو سليمان الداراني، عبد الرحمن العنسي المذحجي، الزاهد المشهور، من أهل داريا بغوطة دمشق رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده.كان من كبار المتصوفين.(الزركلي الاعلام،٢٩٤/٣).

(٢) إحياء علوم الدين ،٣٩/١.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية من فقهاء الحنابلة ، ظهر في القرن الثامن الهجري ، صدرت منه فتاوى خالف فيها جمهور علماء المسلمين ، منها انكاره شد الرحال لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فصدر ضده حكم بالحبس ، ثم خرج منه ولم يلبث ان عاد إليه وتوفي رحمه الله في السجن. دافع عن التصوف السليم وهاجم ما اسماهم صوفية الأرزاق والرسوم ، وشرح احد أهم كتب التصوف : فتوح الغيب للإمام عبد القادر الجيلاني. (ابن حجر : الدرر الكامنة ،٤٦/١. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١١ص٥٠ وما بعدها).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ١ / ١٨٦.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ،٢٤٠/٤.

وعلى ذلك فضابط المعرفة القلبية الكشفية هو اتباع الكتاب والسنة.[١] على أن هذا السلوك الروحي الذي تحدث عنه ابن خلدون والشوكاني وقبلهم الإمام الغزالي وغيرهم من المسلمين ينقسم إلى مراتب عدة ومقامات متباينة كل على حسب استعداده في الترقي وقدرته على ذلك[٢]، سواء في العروج الروحي أو في مكاشفة أنوار القلب[٣]. وبسب ذلك تعددت مقولات ومفاهيم وحدة الوجود عندما قال بها، فبعض من أهل التصوف أو من نسبت إليه مثل هذه المقولات بناء على مشاهداته القلبية. إذ " تتنوع تنزلات الغيوب، بتنوع استعدادات القلوب"[٤].

فبعض المشاهدات القلبية تستغرق لحظات سريعة . لكن يحصل فيها من الأنوار والأسرار والمعرفة والسرور ما يكفي صاحبها من اليقين والحب لله عمره كله.[٥]

ويذكر البعض أن الحب الإلهي أول الطريق، ، بمعنى أن طريق المجاهدة والرياضة تبدأ بخاطفة الحب إلى الله عز وجل، وتذوق هذا الحب[٦]. ولهذا نجد الكثير من شعر وفكر أهل التصوف يتمحور حول الحب الإلهي، وإن رمز له أكثرهم برموز شعرية مثل ليلى وسلمى وغيرها[٧].

كما أن أهل الإسلام يغلب أحياناً على جماعة منهم ترجيح منهج دون آخر، حتى أخذ المسلمون حظهم إلى حد بعيد من الانقسامات المنهجية في المعرفة. ففريق منهم حكم العقل في النص وقدم العقل عند التعارض وهؤلاء هم

(١) السهروردي ، شهاب الدين أبو حفص عمر بن احمد (ت٦٣٢ه): عوارف المعارف، مكتبة القاهرة، القاهرة ٢٠٠٤، ص ١٦٧، ٢٠٢ ؛ النفري : غيث المواهب، ٣٨١،٣٨٠ .

(٢) القنوجي: أبجد العلوم ، ٤٠٠/١.

(٣) يقول النورسي: "اعلم ان المعلومات الآفاقية لا تخلو عن الأوهام والوساوس. وأما إذا استندت إلى الأنفس واتصلت بالوجدانيات و المشعورة بالذات ، تصفت عن الاحتمالات المزعجة. فانظر من المركز إلى المحيط، ولا تعكس فتتكس".المثنوي العربي النوري، سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٣، ص٢٢٦

(٤) ابن عربي، محيى الدين: تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك،وضع حواشيه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ،بيروت ٢٠٠٠م،ص١٦.

(٥)وهو ما حدث على سبيل المثال للكاتب الإسلامي خالد محمد خالد . (خالد، خالد محمد : قصتي مع التصوف ، دار المقطم، القاهرة ٢٠٠٤،ص١٠٨،١٠٧).

(٦) الراشد، محمد: وحدة الوجود من الغزالي إلى ابن عربي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق ٢٠٠٦م ص١٧٢.

(٧) الندوي : رجال الفكر والدعوة ،٤٢٥/١.

المعتزلة. وفريق حكم النص على العقل، معطلا للعقل، فسقط بعضهم في التجسيم والتشبيه، وهؤلاء هم غلاة الحنابلة(١).

وفريق وازن بين النص والعقل فألتزم بقدسية النص ولم يعطل العقل، إلا أنه قدم المعرفة القلبية والارتباط الوجداني بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم أهل التصوف و الأشاعرة(٢).

وهذه الاختلافات هي في حدود الطبيعي؛ لأن الناس مختلفون في تكوينهم العقلي والفكري والروحي وليسوا سواء، فمنهم من يغلب عليه قوة العقل، ومنهم من يفضل الالتزام بالحسي، وبالتالي في التقيد بالنص. ومنهم من تغلب عليه قوة العاطفة والقلب والتوجه الروحي الوجداني، ومن عظمة وقوة الإسلام ووسعه أن لدية القدرة على احتواء كل فئات البشر بمختلف قدراتهم. مع الدعوة إلى الوسطية وعدم التطرف وادعاء الحق المطلق.

وموقف العلماء المسلمين هو عدم تكفير أي مسلم حيث تختلف رؤى كل مسلم حسب مستواه المعرفي، فمعرفة الجاهل غير معرفة المتبحر، ومعرفة الفقيه تختلف عن معرفة أهل الكشف، يقول الإمام عبد الوهاب الشعراني (ت:٩٧٣ه)(٣): " سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرقة الإسلامية من كل وجه فهو كاذب؛ فإن من شروط العارف بالله دخول الحضرة الإلهية، وإذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة إليها ومتصلة بها كاتصال الأصابع بالكف، فأقر بجميع عقائد المسلمين بحق وكشف ومشاهدة، ولو من بعض الوجوه".

فالمعرفة الكاملة بالله التي يمكن أن تتاح لإنسان لا يمكن بلوغها والوصول إليها بالحس؛ لأن الحس يعني بالموضوعات المادية والله عز وجل ليس مادة.

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت٥٩٧ه): دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق/حسن السقاف، دار الامام النووي، عمان١٩٩٢، ص١٠٠،٩٩.

(٢) محمود، عبد الحليم: المنقذ من الضلال، قضية التصوف، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م؛ القاضي، أحمد عرفات: الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين ، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٩٦، ص٦٥ وما بعدها.

(٣) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي، القاهرة (د.ت) ج١ص٤١. أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد الشعراني: ولد بمصر عام٨٩٨ه، حصل العلم حتى صار من أكابر العلماء، فكان فقيها محدثا صوفيا، له عشرات المؤلفات لمختلف العلوم الشرعية. (الشعراني، عبد الوهاب (ت٩٧٣ه): الأخلاق المتبولية، تحقيق / منيع عبد الحليم محمود ، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٣م،ج ١ص٦ وما بعدها).

ولا بالوهم؛ لأن الوهم يختص بالصورة والله عز وجل خالق الصور والتصور، ولا بالعقل؛ لأن العقل يهتم بعلل الأشياء وأسبابها والله ليس معلولا. وأقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل هو أن يثبت أن الله عز وجل هو العلة الأولى، وأنه ليس كمثله شيء. فبقيت إذاً المعرفة الذوقية أو القلبية أو الوجدانية وهي أعلى دراجات المعرفة الصحيحة، ولا يمكن الإفصاح عنها بأية وسليه من وسائل التعبير الإنساني، وهي قمة اليقين، وإذا ما بلغها الإنسان تضاءلت أمامها أنماط المعارف الأخرى جميعاً [١]. وبينت أفقاً وشهوداً واسعاً لا يمكن للحس والعقل لوحدهما أن يبلغاه.

على أن منهج المعرفة القلبية عند المسلمين مقيد ومسترشد بالمعرفة الحسية والعقلية؛ لأنه مقيد ومسترشد بالشريعة الإسلامية، الكتاب والسنة. فهي ليست معرفة لا ضابط لها ولا معيار، يغيب عنها العقل وينتفي منها الحس، بل هي منهج التوازن الكلي بين الحس والعقل والقلب.

فتغليب منهج على آخر يضر بمستوى المعرفة وصدقيتها فعلى سبيل المثال أصحاب المنهج العقلي اختلفوا وتعارضوا وتناقضوا، ولم تستطع كل الجهود المبذولة للتوصل إلى مقياس عقلي يزن بين الحق والباطل بالنسبة للأمور الغيبية، وأمور ما وراء الحجب. وكل ما يمكن أن يصل إليه العقل احتمالات وترجيحات لا تنتهي إلى اليقين الاستدلالي الذي لا شك فيه[٢]. وهذه الاختلافات بين أصحاب المنهج العقلي ليس فقط في قضايا الغيب، بل اختلفوا كذلك في العلوم الظاهرة الطبيعية المشاهدة أمام ناظريهم. فظهرت النظريات المختلفة، وكل نظرية تختلف عن الأخرى، وكثيراً ما يصعب الجمع بينها، مثل نظرية النسبية ونظرية الكوانتم على سبيل المثال لا الحصر[٣].

كذلك عرف عن أهل المعرفة القلبية التحذير من التحدث بها. يقول الإمام الغزالي[٤]: "والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله

(١) محمود، عبد القادر: دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، دار الفكر العربي، بيروت١٩٧٨، ص٣٧٤، ٣٧٥.
(٢) محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، ١٣٨،١٣٩.
(٣) غرين ، برايات: الكون الأنيق، ترجمة فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٥،ص١٣٩ وما بعدها.
(٤) إحياء علوم الدين ،٨/١.

عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور إفهام الخلق عن الاحتمال - والعلماء ورثة الأنبياء - فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء...". ويقول الإمام عبد الله بن علوي الحداد (ت: ١١٣٢ه)[١]:" ومن شأن المتكلم في بيان هذه العلوم، مع من لم يصل إلى شيء منها بطريق الذوق أنه لا يزيدها بيانه لها إلا غموضا". وهناك إشكالية أخرى هي عدم وفاء الكلمات بالقدرة على جلاء التوضيح والبيان لهذه العلوم[٢].

ولأجل إيمان المؤرخين المسلمين بهذه المنهجية المتعددة في المعرفة تمتلئ مؤلفاتهم التاريخية بقصص الكرامات وخوارق العادة والغيب التي يصعب على المؤرخ المعاصر التأكد من صحتها بحسب المنهج العلمي المتبع الآن. حتى إذا أتت هذه الروايات من خلال نصوص صحيحة الرواية والسند المتبع في منهج علم الحديث عند المسلمين.

الخاتمـة:

إن معرفة حقيقة التاريخ، بل والوجود ومعرفة الكون والعالم كان ولا يزال مطلب العلماء والفلاسفة. ورغم ما قدمته الرسالات السماوية من إعلام واضح عن حقيقة هذا الكون وهذا الوجود وتفسير التاريخ. إلا أن نهم الإنسان للمعرفة والتحقق منها لا حدود له.

سبّب اختلاف مناهج المعرفة بين الشرق والغرب آثاراً هامة كانت سببا في التطور العلمي الهائل عند العرب والمسلمين نتيجة أخذهم بتعدد مناهج المعرفة بما في ذلك المنهج التجريبي. بينما اقتصرت أوروبا لفترة طويلة على الاعتماد على المنطق الصوري لأرسطو دون الأخذ بمنهج التجربة حتى ظهور روجر بيكون الذي استفاد من العرب وادخل المنهج التجريبي[٣]. وكان الأخذ بهذا

---

(١) النفائس العلوية في المسائل الصوفية ، دار الحاوي، (د.م)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م،ص٧٨. عبدالله بن علوي الحداد: الإمام والفقيه والمربي الصوفي، ولد في تريم بحضرموت وتوفي فيها، له الكثير من المؤلفات في الدعوة والإرشاد. يعتبر مجدد طريقة السادة ال باعلوي في التصوف. (الزركلي: الأعلام، ١٠٤/٤).

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦ه): مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م ،ج١ص١٣٢.

[٣]) هونكه، زيغريد: شمس العرب تستطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٣٣٤.

المنهج هو العلامة الفارقة في التاريخ الأوروبي حتى تحولت أوروبا إلى التاريخ الحديث والنهضة العلمية الهائلة التي عمت أوروبا ولا تزال تعيشها .

واختلاف المناهج وتعددها انعكس بطبيعة الحال على المؤرخين والمفكرين، فمنهم من أخذ بالمنهج الحسي مثل رانكة ولامبرخت، ومنهم من دعا إلى المنهج العقلي مثل فولتير، وكارل بوبر ومنهم من أخذ بالمنهج الروحي أو الوجداني مثل هردر وشبنجلر على سبيل المثال. وقاد ذلك بلا شك إلى تقديم تفسير وفلسفة مختلفة بحسب الأسس المعرفية التي استند إليها كل فيلسوف. ومعرفة الأداة المعرفية لكل فلسفة وفيلسوف للتاريخ يساعد على فهم ومعرفة الحدود المعرفية التي تجول فيها هذه الفلسفة والرؤية التاريخية. كما يساعد على التقييم النقدي لهذه الفلسفة والرؤية التاريخية. ويساعد كذلك في فهم طبيعة الكتابة التاريخية عند المسلمين التي يستشكل البعض في فهمها.

المصادر والمراجع

- ابن أبي شيبة، أبو بكر (ت٢٨٥ه): المصنف في الأحاديث والأخبار، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض١٤٠٩ه.
- احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية ٢٠٠٤.
- اشبنجلر، اسوالد: تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني ، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.
- الاصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ه.
- بدوي، عبد الرحمن : فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت ١٩٧٩م.
- بدوي، عبد الرحمن: اشبنجلر، دار القلم، بيروت ١٩٨٢.
- بدوي، عبدالرحمن: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤
- بدوي، عبدالرحمن: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٣م.
- بوبر، كارل: أسطورة الإطار، تحرير: مارك ر.بوبر، ترجمة: يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت١٩٩٣.

- البيروني، محمد بن احمد (ت٤٤٠ه): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.
- البيهقي، ابوبكر بن احمد (ت٤٥٨ه): شعب الإيمان، تحقيق/ عبدالعلي حامد، مكتبة الرشد للنشر، الرياض١٤٢٣ه.
- التادفي، محمد بن يحيى (ت٩٦٣ه): قلائد الجواهر، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة٢٠٠٤م.
- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (ت٧٢٨ه): مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبدالرحمن النجدي الحنبلي، (د. ن)، بيروت (د.ت).
- ابن الجزري ، ابن الأثير أبو المحاسن على بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، (د.ن) بيروت (د.ت).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت٥٩٧ه): دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق/حسن السقاف، دار الامام النووي، عمان١٩٩٢.
- الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت٢٠٠٠.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد (ت٨٥٢ه): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق/ محمد عبدالمعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد١٩٧٢م.
- الحداد، عبدالله بن علوي (ت١٣٨٢ه): النفائس العلوية في المسائل الصوفية، دار الحاوي، (د.م)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- حربي عباس عطيتو و حسان حلاق: العلوم عند العرب، أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥م..
- الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠.
- خالد، خالد محمد : قصتي مع التصوف ، دار المقطم، القاهرة ٢٠٠٤.
- ابن خلدون، عبدالرحمن (ت٨٠٨ه): المقدمة، دار القلم، ط٤، القاهرة ١٩٨١م.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد قايماز (ت٧٤٨ه): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين محمد (ت٧٤٨ه): العبر في خبر من غبر، تحقيق/ صلاح الدين المنجد، (د.ن) الكويت١٩٨٤.
- راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، (د.ت)

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦ه): مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- الراشد، محمد: وحدة الوجود من الغزالي إلى ابن عربي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق ٢٠٠٦م.
- رسل، برتراند: حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت١٩٨٣م.
- الرندي ، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عباد النفري (٧٩٢ه): غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٥.
- الرومي، جلال الدين (ت٦٧٢ه): المثنوي، ترجمة ودراسة: محمد عبد السلام كفافي ، المكتبة العصرية، صيدا ١٩٦٦.
- الزركلي، خير الدين : الأعلام، دار العلم للملايين ط٥، بيروت ١٩٨٠.
- زروق، احمد بن احمد البرنسي (ت٨٩٩ه): قواعد التصوف، ضبطه: محمود بيروتي، دار البيروتي ، دمشق٢٠٠٤م.
- زقزوق، حمد حمدي: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣.
- الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، الرياض ١٩٩٢
- زيعور، علي: الفلسفات الهندية، دار الاندلس للطباعة، بيروت ١٩٨٣م.
- السهروردي، شهاب الدين أبو حفص عمر بن احمد (ت٦٣٢ه): عوارف المعارف، مكتبة القاهرة، القاهرة ٢٠٠٤.
- شبير، محمد محمد طاهر آل: نقد المنهج التجريبي، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٧م .
- الشعراني، أبو المواهب عبدالوهاب (ت٩٧٣): اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي، القاهرة (د.ت).
- الشعراني، عبد الوهاب (ت٩٧٣ه): الأخلاق المتبولية، تحقيق / منيع عبد الحليم محمود، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٣م.
- الشمالي، عبده: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، دار صادر، بيروت١٩٧٩.
- شمسان، فوزية: روجية جارودي، الرؤية والتغيير، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء٢٠٠٣.

- الشوكاني، محمد بن علي(ت١٢٥٥ه): الفتح الرباني من فتاوي الشوكاني، تحقيق وترتيب/ أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ٢٠٠٢م.
- الشيخ، رأفت: تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٠.
- صدقني، جورج: افلوطين ، الموسوعة العربية:
- http://www.arab -ency.com/ index.php?module pnEncyclopedia&func=display_term&id =1229
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤ه): الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠.
- ابي طالب، علي: نهج البلاغة، ضبطه ووضع فهارسه العلمية: صبحي الصالح، (د.ن)، بيروت١٩٦٧.
- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ه): تاريخ الأمم والرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ه.
- عبيد، رؤوف: الإنسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦، ج١، ص ٥٠٨.
- ابن عربي، محيى الدين (ت٦٣٨ه): تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، وضع حواشيه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- ابن العماد، عبدالحي الدمشقي (ت١٠٨٩ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- عويضة،كامل محمد: أفلوطين بين الديانات الشرقية والفلسفة اليونانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م.
- غارودي، روجيه: النظرية المادية في المعرفة، تعريب إبراهيم قريط، دار دمشق للطباعة، دمشق (د.ت).
- غرين، برايات: الكون الأنيق ، ترجمة فتح الله الشيخ ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٥.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ه): أحياء علوم الدين، ضبط نصه وخرج أحاديثه/ محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٤. وطبعة بيروت (د. ت)
- أبو الفداء، قاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩ه): تاج التراجم في طبقات الحنفية، تحقيق/ محمد خير رمضان، دار القلم ط١، دمشق ١٩٩٢م.

- الفريد، جولس آر: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة بهاء درويش، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية ٢٠٠٦.
- الفلاحي، عبدالله: نقد العقل بين الغزالي وكانط، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت٢٠٠٣.
- القاضي، أحمد عرفات: الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٩٦.
- القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق / عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر: مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣.
- كاسيرر، آرنست: في المعرفة التاريخية، ترجمة أحمد حمدي محمود، القاهرة ١٩٩٧
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤ه): تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ محمود حسن، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤.
- كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، بيروت ١٩٨٦م.
- الكمالي، محمد محمد: أصالة المذهب المعرفي عند الكندي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، المجلد٣٢، العدد١ يناير-يونيو٢٠٠٩.
- الكمالي، محمد محمد: المنظور المعرفي عند العلامة المقبلي، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، المجلد٣٢، العدد٢ يوليو-ديسمبر٢٠٠٩، صنعاء.
- كولن، فتح الله: صورة قلمية لرجل القلب، مجلة حراء، العدد الرابع عشر، السنة الرابعة، يناير –مارس ٢٠٠٩.
- الكيالي، عبد الوهاب و زهيري، كامل: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤م.
- محمد، بدوي عبد الفتاح: فلسفة العلوم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠/٢٠٠١.
- محمد، ماهر عبد القادر وعطيتو، حربي عباس: اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،٢٠٠٧.
- محمود، عبد الحليم: التفكير الفلسفي في الإسلام، مكتبة الايمان، القاهرة ٢٠٠٦.
- محمود، عبد الحليم: المنقذ من الضلال، قضية التصوف، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م.

- محمود، عبد القادر: دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، دار الفكر العربي، بيروت١٩٧٨.
- مظهر، إسماعيل: مهاتما غاندي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٣٤م.
- المغربي، علي عبد الفتاح: إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، دار الخيال للطباعة، القاهرة٢٠٠٩.
- الملطاوي، حسن كامل: الصوفية في إلهامهم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢.
- مورفي، جوزيف: قوة عقلك الباطن، مراجعة ايان ماكماهان، مكتبة جرير، الرياض ٢٠٠٨.
- الندوي، أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، الكويت١٩٦٩. دار القلم، دمشق٢٠٠٢.
- النشار، مصطفى: رؤية الإنسان في الفكر اليوناني، مجلة التسامح، العدد ٢٦، مسقط ٢٠٠٩م
- النورسي، بديع الزمان سعيد: المثنوي العربي النوري، سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٣.
- هونكه، زيغريد: شمس العرب تستطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ول ديفيز وجون جريبين: أسطورة المادة، صورة المادة في الفيزياء الحديثة، ترجمة: علي يوسف علي، القاهرة١٩٩٨.
- -ويدجيري: البان: المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرطوط، دار القلم، بيروت ١٩٧٩.
- اليافعي، عبدالفتاح قديش: المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- يوجي، المهراجا ماهيش: الاتصال بالأعماق، ترجمة عبد الوهاب الصادق، دار المطبوعات الجديدة، (د.م د. ت).
- اليوسف، عبد القادر احمد: العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧.

المراجع الأجنبية:

- Gilbrrt, E., Love, Pray, Eat، New York 2007

- Herder, J. G., Another Philosophy of History and Selected Political Writings, Translated Evrigenis, I. D. and Pellerin, D., Indianapolis 2004.
- Krieger L., Ranke : The Meaning of History, Chicago 1977
- Liljencants, Braon Johan., Separatism and Religion, A Mora - Stndy, London, 1918.
- Morley, J., Voltaire, London1923.